

القائد الاعلى للجيش العربي

خان قضية فلسطين !

الملك عبد الله يطلع جلوب باشا على خطة

الجيش العربية فيصر على تعديلها

لأنها كانت كفيلة بالقضاء على الصهيونيين

الجيش الأردني حال دون إنقاذ القوات المصرية

في الفالوجا

تحت هذه العناوين البارزة وبحروف ضخمة على عرض الصفحة الأولى ، نشرت جريدة « المصري » ، في عددها الصادر بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ المقال الخطير التالي :

تدرس اللجنة السياسية للجامعة العربية في هذه الايام مشروع الضمان الجماعي بين الدول العربية ، ومن المعلوم ان أساس هذا المشروع توحيد القيادة العسكرية واطلاع كل دولة من الدول

الاعضاء على قوات الدولة الاخرى وخططها العسكرية . وقد رأت « المصرى » ان تنشر في هذه الظروف بعض أسرار حرب فلسطين الاخيرة وما جرى فيها من خيانات كانت السبب الاول في الخسارة الجسيمة التى منيت بها الدول العربية . والقصد من اذاعة هذه الاسرار هو تحذير المسؤولين العرب الذين يدرسون مشروع الضمان الجماعى من الخطر الاكيد المهدق بهم اذا اشركوا فى مشروع الضمان الجماعى دولة شرق الاردن التى لا يهم المسؤولين فيها الا ارضاء الجالس على عرشها وتحقيق اطماعه واطماع من يسيره ، تنفيذاً لخطه واضحة معروفة ، ولو فى العرب جميعاً .

وقد اطلمت الشعوب العربية على كثير من المخازى ، والمواقف غير المشرفة التى وقفها جلالة الملك عبد الله وحكومته . ولا يكون الحديث عن هذه المواقف كاملاً ، ما لم يتناول هذا الحديث الشخصية التى تسير الملك عبد الله وهى شخصية « أبى حنيك » واعماله ، تلك الشخصية الجاثمة على صدر العرب عامة ، والاردنيين خاصة .

فالبريجادير جنرال جلوب باشا ، قائد الجيش الاردنى المعروف للعرب باسم « أبى حنيك » ، وللأعراب فى شرق الاردن باسم « الصاحب » ، رجل بريطانى ، بلغ من المسكاة فى تدعيم الاستعمار وتشديد صرح الامبراطورية البريطانية فى بلاد العرب ، ما لم يبلغ شأوه الكولونيل لورنس المشهور ، واضرابه من بناء الامبراطورية ، الذين عملوا من وراء ستار « الادعاء بصداقة العرب » ،

لعب هذا « الصاحب » خلال ما يقرب من ربع قرن فى شرق

الأردن أدوارا كثيرة ، بالاتفاق مع جلالة الملك عبد الله ،
وحكوماته ، كان لها أكبر تأثير في شؤون فلسطين والقضايا العربية
الأخرى . ويضيق بنا المجال لو أردنا بحث سلسلة هذه الأعمال ، لذلك
نكتفي بالإشارة إلى الأعمال البارزة والظاهرة منها ، التي قاموا
بتنفيذها في حرب فلسطين . . تلك الأعمال التي تشكل أخطر أدوار
المأساة الفلسطينية ، والتي يعود إليها الفضل الأول في تفويت فرصة
الانتصار على الدول العربية وفي تشييد دولة اليهود في فلسطين

* * *

قبل حلول اليوم الخامس عشر من مايو ١٩٤٨ ، وقع ضغط
بريطاني قوى على الدول العربية لاسناد القيادة العليا للجيش العربية
إلى جلالة الملك عبد الله بن الحسين . . وبعد تردد طويل استجابت
أكثرية الدول العربية للضغط الاجنبي ، فأصبح الملك عبد الله
« القائد الأعلى ، والجنرال نور الدين » العراقي ، قائدا عاما !

واجتمع رؤساء أركان حرب الدول العربية في الزرقاء ، الواقعة
إلى الشمال من عمان ، ووضعوا خطة عسكرية حكيمة ، كان من شأنها
لو نفذت ، القضاء على دولة إسرائيل قبل أن ترى النور

وكانت تلك الخطة تهدف إلى تحقيق الحركات العسكرية التالية :

١ — يتحرك الجيش اللبناني من رأس الناقورة نحو الساحل
الفلسطيني باتجاه عكا وحيفا

٢ — يتحرك الجيش السوري من مرتفعات بانياس وبنت جيبيل
نحو صفد والناصرة فالعفولة

٣ — يتحرك الجيش العراقي من جسر الجامع وجسر بنات يعقوب د على نهر الاردن ، باتجاه غور ييسان فالعفولة

٤ — يتحرك الجيش الاردني من جسر الشيخ حسين وجسر دامية د على نهر الاردن ، باتجاه جنوب ييسان فشمال جنين الى العفولة (ولم توضع في مؤتمر الزرقاء العسكري خطة منطقة القدس والمثلث العربي لسيطرة المجاهدين الفلسطينيين التامة على المراكز المنيعة واحتلالهم لمجموع الاراضي العربية حتى خط الطيرة - قلقيلية - رأس العين - مطار اللد - اللد والرملة - على بعد ١٧ كيلو مترا من الساحل الى الشرق)

وكذلك لم توضع خطة (لحركة الجيش المصري لاستقلاله في قيادته)

وتقع مدينة العفولة - وهي من اكبر المستعمرات اليهودية - في السهل المعروف (بمرج ابن عامر) وعلى بعد ٢٥ الى ٣٠ كيلو مترا من الساحل الفلسطيني ، وكان القصد من التقاء الجيوش السورية والعراقية والاردنية في العفولة التحرك منها نحو الساحل واحتلال منطقتي الخضيره وناثانيا اليهوديتين ، وبذلك تسيطر فلسطين الى شطرين ، ويقضى على كل اتصال بين يهود الشمال (حيفا وصفد ومستعمرات المريج ومستعمرات ييسان وطبريا) وبين يهود الجنوب (تل أبيب وملبش ورحوبوت ومنطقتي غزة والمجدل) .

وطلب جلالة الملك عبد الله بن الحسين - بصفته القائد الاعلى - ان يطلع على مضمون الخطة العسكرية الموضوعة في اجتماع الزرقاء .

فسلمه القائد العام نور الدين محمود ، الخطة ، وأطلع الملك عبد الله
البريجادير جلوب باشا (قائد الجيش الاردنى) على الخطة العسكرية
المشتركة . فلما أدرك جلوب باشا خطورتها ، وما يودى تحقيقها من
القضاء على اليهود ، بادر فوراً الى تغيير الخطة

فأصدر (القائد الاعلى) - أى الملك عبد الله - أوامره للسير
على الخطة الجديدة ، التى وضعها جلوب باشا وكان ذلك قبل ٤٨
ساعة فقط من الموعد المقرر لدخول الجيوش العربية اراضى
فلسطين ! وأطاع قواد الجيوش العربية أوامر القائد الاعلى ،
واخذوا فى تطبيق الخطة الجديدة ، وهى كما يلى :

١- ان يقوم الجيش السورى بالاتجاه نحو سمخ ! فاضطر الجيش
السورى الى نقل قواته - تحت سمخ اليهود وبصرهم - من المرتفعات
الشمالية الى السهول الشرقية

٢ - أن يتقدم الجيش العراقى من جسر المجامع نحو مستعمرة
جيشر اليهودية ، ثم يتجه غرباً نحو السهول .

٣ - أن يتقدم الجيش الاردنى من جسر دامية نحو نابلس وجنين
وطول كرم ، ومن جسر اللنبي نحو اريحا وجبال القدس ومنطقة
رام الله ، وجميع هذه المناطق عربية خالصة وكانت بايدي المجاهدين
الفلسطينيين ولم يكن عليها خطر مباشر من اليهود ،

فكان من نتيجة تلك الخطة أن الجيش السورى تعرض لمقاومة
يهودية عنيفة ، انقلبت الى هجوم شنيع ألحق بالجيش السورى

- خصوصاً لعدم خبرته في الجبهة التي نقل اليها فجأة - خسائر فادحة ، كانت السبب في ضعفة ذلك الجيش وتجميده في مكانه

أما الجيش العراقي فقد تقدم نحو مستعمرة « جيشر » وأخذ يقصفها بقنابل مدفعيته الثقيلة ، ولكنه لم يصادف نجاحاً ، وكانت القنابل ترتد عن حصون جيشر وكأنها كرات من المطاط . ذلك لان حصون جيشر هذه كانت هي نفس حصون « خط ايدن » التي أقامها الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية لوقف هجوم جيوش المحور المنتظر ، وكان جلوب باشا يعرف تلك الحصون لانه كان أحد الخبراء العسكريين البريطانيين الذين أشرفوا على بنائها !

وأما الجيش الاردني فقد تقدم - دون حاجة الى اطلاق قذيفة واحدة - نحو اريحا وجبال القدس ومناطق رام الله و نابلس واللد والرملة .

فكانت النتيجة من تطبيق تلك الخطة « الجلوية » ، أن أصاب الجيوش العربية فشل ذريع . كان السبب المباشر للابقاء على اليهود ، ومن ثم على اسرائيل !

ووقف الجيش الاردني على جبال القدس الشرقية على بعد ٣ كيلو مترات من المدينة القديمة ، كما وقف على مشارف المدينة الشمالية « طرق رام الله » ، وعلى بعد كيلو مترين من الاحياء العربية الشمالية وقف دون حراك ، ولم يتقدم لنجدة جيش الجهاد المقدس الفلسطيني الذي كان يدافع عن المدينة المقدسة في وجه أقسى هجوم يهودي . وصمد المجاهدون أربعة أيام بلياليها ، استمات خلالها

أهل القدس في الدفاع عنها ، حتى ردوا الهجوم اليهودي والجيش
الأردني لم يتحرك ، بل على العكس من ذلك ، أخذ يمنع نجدات
المجاهدين من منطقة رام الله والمثلث من الوصول الى القدس ،
وذهب الامير نايف بنفسه وبصحبته اليريجادير لاشد مساعدا جلوب
باشا ، ومنع الضابط عفيفي البزري من اطلاق قذائف مدفعية كانت
لجيش الانقاذ ، أبي البزري الا استعمالها في قذف القدس الجديدة
تخفيفا لضغط الهجوم اليهودي على المدينة القديمة ، فاضطر البزري
الى الانسحاب أمام الجيش الاردني

وكانت كل الدلائل تثبت ان جلوب باشا كان يرغب في سقوط
القدس القديمة بأيدي اليهود . فلما خاب ظنه ، أمر الجيش الاردني
بالإقدام ، فاحتل المدينة القديمة ، ومنع د بالقوة ، جيش الجهاد
المقدس من التوغل في الاحياء اليهودية واحتلالها .

وصرح دافيد بن غريون ، رئيس حكومة اليهود ، بانه لم يكن
لليهود عند دخول الجيوش العربية النظامية الى فلسطين غير ٨٠٠
مقاتل يهودي نظامي ، سلاحهم محدود ضعيف ، وبدون مدفعية
ثقيلة ! وكان يهود القدس البالغون ١٢٠ ألف نسمة على وشك
الاستسلام ، ومع ذلك أحرز اليهود نصرا بفضل خطة جلوب باشا
التي أمر (القائد الاعلى) بتنفيذها .

درس الشهيد المغفور له الشيخ حسن سلامة ، أحد أبطال ثورة
فلسطين العظمى (١٩٣٦ - ١٩٣٩) الفنون العسكرية في بغداد ١٩٤٠
وفي المانيا خلال الحرب العالمية الثانية . وعندما دخلت الجيوش

النظامية العربية فلسطين لانقاذها من الصهيونية الآثمة . . كان الشيخ حسن سلامة يقود جيش الجهاد المقدس في المنطقة الوسطى ، وكان يسيطر على مدينتي اللد والرملة ومطار اللد الدولي الكبير ، وعلى جميع المراكز الهامة الواقعة الى الشمال حتى معسكر رأس العين على مسافة ١٣ كيلو مترا من مطار اللد . وكان الشهيد والمجاهدون يضيقون على اليهود من تلك المراكز ، ويهددون ملابس وتل أبيب ورحوبوت ، وكانت منطقة اللد والرملة بموجب خطة جلوب باشا الآنفه الذكر من نصيب الجيش الاردني . وكان فيها متطوعون من ابناء العشائر الاردنية يتعاونون مع اخوانهم المجاهدين الفلسطينيين للدفاع عن تلك المنطقة ، وفي شن الهجمات الشديدة على اليهود .

وبالطبع فان ذلك لم يكن مدعاة لارتياح جلوب باشا ، فارسل قبل عقد الهدنة الاولى ببضعة ايام ، قوة نظامية من الجيش الاردني فاحتلت المراكز التي كان يحتلها المجاهدون الفلسطينيون والمتطوعون الاردنيون ، فلما اتفقت الدول العربية على (الهدنة الاولى) أمر جلوب باشا بجمع سلاح المجاهدين بحجة وجود هدنة ، وخوفه من خرق المجاهدين لها لانهم « غير نظاميين » ، وتعمد باعادة السلاح لهم حالما تنتهي الهدنة ، وفي الوقت نفسه سرح ابناء العشائر الاردنية واستولى على اسلحتهم .

وكان الشيخ حسن سلامة ، يوجس خيفة من غدر الجيش الاردني بالعرب ، ويخشى ان يتجنب مقاتلة اليهود . فاتصل بالمغفور له القائد المصري احمد عبد العزيز ، ليتقدم الجيش المصري الخفيف الحركة

من بيت لحم عبر جبال العرقوب ، مارا بمستعمرة عرطوف فباب الواد ، للاتصال بالمجاهدين في منطقة اللد والرملة .

فلما انتهت الهدنة الاولى وقررت الدول العربية بالاجماع استئناف القتال ، رفض جلوب باشا تسليم السلاح للمجاهدين ، وأعلن انه لا يعترف بقرار الدول العربية ، لان هيئة الامم المتحدة كانت تزيد استمرار الهدنة !! اما قوات احمد عبد العزيز فقد تحركت فعلا . بمجرد انتهاء الهدنة الاولى - لتحقيق الخطة المتفق عليها - وبينما كان الناس ينتظرون أن تقوم القوات الاردنية الموجودة في اللد والرملة - وكانت قوات كبيرة ومجهزة باحسن الاسلحة وبعدد من الدبابات والمصفحات الكبيرة - بشن هجوم على اليهود والوصول الى تل أبيب ، اذا بها تنسحب من اللد والرملة ، وتسلمها لليهود بدون قتال ، فاحتلوهما والقرى المحيطة بهما وشردوا مائة وخمسين الفا من العرب من السكان ومن اللاجئين من منطقة يافا ، ونهبوا اموالهم وأذوهم في اجسادهم ونكلوا بهم شر تنكيل ، فاضطر الجيش المصرى الى العودة الى بيت لحم بعد أن وصلت طلائعه الى عرقوب في طريقها الى اللد والرملة . وهكذا انكشفت ميمنة الجيش المصرى الاساسى الزاحف من جنوب فلسطين ، وضاعت منطقة اللد والرملة حتى باب الواد غربا (على طريق القدس) .

وأرسل جلوب باشا برقية الى القائد اليهودى يهنئه فيها على احتلال الجيش اليهودى لمنطقة اللد والرملة . ولما سأله المونسنيور جلاد وكيل بطريرك اللاتين في القدس عن صحة خبر تلك البرقية لم

ينكرها جلوب باشا وقال ما نصه بالفرنسية Cest La Politique ومعناها (ان السياسة تقضى بذلك)

وكانت قوات كبيرة من الجيش الاردني تحتل معسكر العلبين جنوبي القدس ومركزا آخر في ضاحية مستعمرة تل بيوت جنوبي القدس ايضا . وكان سكان الاحياء العربية في المدينة الجديدة (القطمون والطالبية والبقعة الفوقا والبقعة التحتا) يعتمدون على وجود تلك القوات بالاضافة الى قوات الجهاد المقدس . وفي منتصف ليلة ١٤ مايو شن اليهود هجوما على تلك الاحياء ، فصعد لهم المجاهدون وعلى رأسهم البطل ابراهيم ابو دية - شفاه الله - ولما اشتد الضغط اليهودي تطلع المجاهدون الى القوات الاردنية لمعاونتهم ، واذا بتلك القوات تنسحب من مراكزها يوم ١٤ مايو وتسلمها الى اليهود . وكانت النتيجة أن ايديت قوات المجاهدين ، فقد استشهد من حامية القلون وحدها ٢٠٦ مجاهدين من ٢١٧ مجاهدا ، وأن احتل اليهود تلك الاحياء العربية وشردوا خمسة وعشرين ألفا من سكانها .

عندما حوصرت القوات المصرية في الفالوجا وانفرد الجيش المصري بمقابلة اليهود في الجنوب وفي النقب ارتفعت الاصوات بانتقاد الجيوش العربية لموقفها ولعدم اشتراكها في القتال . فجاء الى مصر نخامة السيد مزاحم البساجه جى وسعى الى رتق الفتق واعادة وحدة الكلمة . ونتيجة للمحادثات التي جرت في القاهرة تقرر ان تقوم الجيوش العربية بعمل مشترك لاستعادة الفالوجا وانتقل رؤساء اركان الحرب العرب من القاهرة الى (الزرقاء) في شرق

الأردن حيث وضعوا خطة عسكرية مفصلة لتنفيذ الاتفاق .

وكانت خلاصة تلك الخطة ارسال لواء (الاى) عراقى من منطقة نابلس الى منطقة الخليل ، وفوجين (أورتين) سوريين مجهزين تجهيزا كاملا الى منطقة الخليل أيضا ، لتعزיד اللواء العراقى فى قيامه بهجوم على الفالوجا بطريق بيت جبريل لانقاذ حامية الفالوجا ، وعين تاريخ للقيام بتلك العملية .

وانتقل رؤساء اركان الحرب الى عمان ، ولما اطلع الملك عبد الله على الخطة وافق عليها كما وافق عليها رئيس الوزارة توفيق أبو الهدى ووزير الدفاع فوزى الملقى

وزار جلوب باشا رؤساء أركان الحرب فى مكان اجتماعهم ، ولما اطلع على الخطة اعترض عليها وقال : هذا غير ممكن . واعلن ان الجيش الاردنى فى منطقة القدس لن يسمح للواء العراقى بالمرور ... وان الجيش الاردنى لن يسمح للفوجين السوريين باجتياز اراضى شرق الاردن الى فلسطين ! وقال انه اذا نفذنا هذه الخطة فان اليهود سيقصفون مدينة عمان بالقنابل من الجو .

ونجح جلوب باشا فى موقفه وتهديده ، فمنع تنفيذ تلك الخطة ، وهكذا ظل ابطال مصر محاصرين فى الفالوجا وظل الجيش المصرى يتحمل وحده عبء القتال فى فلسطين . .